

القدس في كتب الرحلات الأوروبية:
عصر الحروب الصليبية
٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧ م *

د. فؤاد الدويكات **

* تاريخ التسليم: ١٢ / ٧ / ٢٠١٠ م ، تاريخ القبول: ٢٥ / ٤ / ٢٠١١ م.
** محاضر في الجامعة العربية المفتوحة/ فرع الأردن.

ملخص:

البحث دراسة لكتب الرحلات الأوروبية إلى فلسطين في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تعنى بدراسة أوضاع مدينة بيت المقدس في ظل السيطرة الصليبية في ضوء ما دونه أولئك الرحالة من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية تتعلق بالمدينة المقدسة.

وقد سعت من خلال دراسة هذه المصادر، وتحليل ما ورد فيها من معلومات إلى رصد التغيرات التي لحقت بالمدينة في ظل السيطرة الصليبية، وتناولت تلك الإجراءات التي قاموا بها لتغيير معالم المدينة المقدسة وطمس هويتها الإسلامية.

Abstract:

This research is a study to the European travels to Palestine in the sixth century, H – the twelve BC

It studies the situations in Jerusalem under the Crusaders control in accordance with the political, economical, social and construction information that the travelers wrote about the holy city.

And I tried through studying and analyzing the information in these books to show the changes that happened to the city under the Crusaders' control. And I handled the different procedures that they did to change the sights of the city and its Islamic identity.

المقدمة:

ما أن استولت جيوش الحملة الصليبية الأولى على فلسطين، وبسطة سيطرتها على القدس عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م حتى أتت أعداد كبيرة من الأوروبيين كحجاج لبيت المقدس، فقد أصبحوا يفدون إلى بلاد يحكمها قوم منهم. وأولت مملكة بيت المقدس الصليبية الحجاج أهمية كبيرة للظهور بمظهر المدافع عن المقدسات المسيحية أمام العالم المسيحي في أنحاء العالم كافة. وعملت على تيسير إقامتهم وحمايتهم ورعاية شؤونهم، فتزايدت أعداد هؤلاء الحجاج في العصر الصليبي ^(١)، وتدفع الدعم المادي والمعنوي الأوروبي على الكيان الصليبي باعتباره القائم على حماية المقدسات المسيحية في مواجهة الأعداء ^(٢).

لقد وصلنا كثير عن رحالة القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. إذ يزيد عدد الكتب التي بين أيدينا على الثلاثين فضلاً عن الرسائل العديدة والمذكرات التي حفظتها لنا كتب التاريخ ^(٣). وكانت تلك الرحلات موضوعاً لكثير من الدراسات التي تناولتها بالبحث والتحليل، فظهرت مقالة عن رحلة الأب دانيال الروسي في مجلة المشرق (١٩٢٦) للمستشرق يوغوليوبنسكي، كذلك تناول نقولا زيادة عدداً من تلك الرحلات في كتابه «رواد الشرق العربي في العصور الوسطى» (١٩٤٣) وتعد دراسة د. محمد مؤنس «الرحلات الأوروبية في مملكة بيت المقدس الصليبية» (١٩٩٢) من أهم الدراسات التي تناولت الرحلات الأوروبية، إلا أن هذه الدراسات لم تعط الموضوع حقه من البحث.

لذا يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة رصد التغيرات التي لحقت بالمدينة في ظل السيطرة الصليبية، فقد سعى الصليبيون خلال فترة سيطرتهم على القدس لتغيير هويتها الإسلامية، وجعلها مدينة فرنجية، وشملت التغيرات التي أجروها كل ميادين الحياة تقريباً لدرجة أن المدينة فقدت هويتها الإسلامية وأصبحت مدينة فرنجية الملامح والعمران إلى حد ما.

بيت المقدس في كتب الرحلات الأوروبية:

يأتي في مقدمة الرحلات الأوروبية إلى بيت المقدس رحلة الرحالة الأوروبي سايولف Seawulf الذي وصل إلى ميناء يافا في تشرين أول «أكتوبر» ٤٩٦هـ / ١١٠٢م ومنها انتقل إلى بيت المقدس، وتكتسب رحلته أهميتها لكونها جاءت في بداية الاستقرار الصليبي في فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس، فقد مضى على استقرارهم في فلسطين نحو ثلاث سنوات وثمانية أشهر.

ويغلب على هذه الرحلة السرعة، والعناية بالمزارات والكنائس والأديرة المسيحية، لذلك لا تعدو كونها جدولاً بأسماء الأماكن التي زارها في بيت المقدس. مع إغفال كبير للظروف المعاصرة والتطورات التي شهدتها المدينة. ومع ذلك لا نعدم الجوانب المهمة التي تناولها الرحالة في رحلته، ومنها اشتعال حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ضد الغزاة ويتضح ذلك من أوصافه لوعورة الطريق وخطورتها من يافا إلى القدس إذ قطعه خلال رحلة امتدت يومين، أما الوعورة فلكونها جبلية، وأما خطورتها فتأتي من مرابطة المسلمين في الطريق ونصب الكمائن للمسيحيين حتى أنه شاهد كثيراً من الجثث ممزقة وغير مدفونة وملقاة على جانب الطريق بفعل عمليات المقاومة ضد الغزاة^(٤) وتشير هذه الملاحظة إلى عجز الصليبيين عن ضبط أمور البلاد حتى في الأماكن القريبة من بيت المقدس.

وفيما يتعلق بالكنائس والأديرة التي زارها، فقد جاءت أوصافه في غاية الأهمية، إذ قدم وصفاً دقيقاً لكنيسة القيامة في بيت المقدس^(٥) وتكمن أهميته بأن كتابته أول كتابة أوروبية عن الكنيسة، قبل أن يمسه الصليبيون بأية إضافات، ورغم أهمية أوصاف سايولف لهذه الكنيسة فإنها دون الوصف الذي تركه لنا الرحالة المسلم ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م، وكانت كتاباته من أواخر الكتابات الإسلامية عن القدس قبل الغزو الصليبي لها: ”فأشار إلى تعظيم النصارى لها غاية التعظيم، وإنها بناء بالغ السعة والكبر حتى أن ثمانية آلاف شخص يستطيعون أداء الصلاة فيها في وقت واحد، وإنها آية في الروعة المعمارية تزينها الأساطين المرمية العملاقة... وقد فرشت من الداخل بالبسط الرومية الحريرية، واحتشدت بصور القديسين والقديسات، وتقيم فيها أعداد هائلة من القساوسة والرهبان بصفة دائمة^(٦) ومثل هذه الأوصاف النابضة بالحياة لا نجدها لدى الرحالة سايولف.

وجاء تناول سايولف للمقدسات الإسلامية بعد تحويلها إلى كنائس، فأشار إلى المسجد الأقصى بأنه معبد الرب^(٧) وتكشف هذه الرواية المبكرة عن الإجراءات التي قامت بها المملكة الصليبية لطمس هوية المدينة ومحاولة كثرلكتها من خلال القضاء على مساجدها وتحويلها إلى كنائس. وحدد موقع المسجد بأنه في الجانب الشرقي للضريح المقدس وتتسم مساحته بطولها العظيم واتساعها الرحب، وله بوابات كثيرة (لعله يقصد منطقة الحرم الشريف بأسرها)^(٨) لكن البوابة الرئيسة تواجه المعبد، وتسمى الجميلة بسبب مميزات صناعتها وتعدد الألوان فيها^(٩) ويضيف بأنه كان مزيناً بالزخارف بشكل جميل، ويبدو من ارتفاعه أنه يستوي مع جميع التلال حوله، وكان يفوق جميع المباني من حيث الشهرة والبريق، وكان يرى وسط هذا المعبد صخرة كبيرة مرتفعة ومجوفة من الأسفل وعليها كانت قدس الأقداس^(١٠)، وفي الجزء الشرقي من المعبد توجد بوابة المدينة التي

تدعى البوابة الذهبية ^(١١) وقيمة هذه الرواية أنها أول وصف للمسجد الأقصى من جانب رحالة أوروبي زار بيت المقدس بعد خضوعها للسيطرة الصليبية.

كذلك تناول سايولف في رحلته البدايات المبكرة لهيئة فرسان الإسماعيلية وذلك بوصفه المستشفى المخصص ليوحنا المعمدان، فبعد تناوله لكنيسة مريم أشار إلى مستشفى يوحنا المعمدان ^(١٢) وإشارته هي الأولى من نوعها في كتب الرحلات الأوروبية التي تناولت تلك المرحلة المبكرة للمستشفى الذي أسسه التجار الأمالفيون، وأصبح نواة الإسماعيلية.

أما إذا بحثنا عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في رحلة سايولف، فلا نجد فيها شيئاً نظراً لاهتماماته بالمزارات الدينية وعدم إعطائه أي قدر من الأهمية للجوانب الأخرى.

وبعد مضي أربع سنوات على مغادرة سايولف حضر إلى بيت المقدس الرحالة الروسي دانيال الراهب Russian Abbot Daniel وامتاز دانيال عن سابقه بقضاء فترة أطول من تلك التي قضاها سايولف في بيت المقدس، فقد مكث دانيال مدة ستة عشر شهراً في محل إقامة الحجيج في دير القديس سابا ^(١٣)، ومن ثم فقد رأى وعين وتفحص أكثر مما رأى سايولف، كذلك فإن ما يميز رحلة دانيال تعرضه بالوصف لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بيت المقدس. وقد حوت رحلته العديد من الجوانب المهمة:

فعند تناوله بيت المقدس تحدث عن طبوغرافيتها بقوله: مدينة واسعة تحميها أربعة أسوار قوية، مبنية على هيئة مربع حيث إن جهاتها الأربع لها الطول نفسه ^(١٤)، ويحيط بالمدينة كثير من الأودية القاحلة والجبال الصخرية ويقرر أن المدينة واقعة وسط جبال صخرية ^(١٥) ويتابع دانيال أوصافه بالحديث عن الوضع المائي في بيت المقدس ويقرر بأن المنطقة خالية من الماء بشكل مطلق، حيث لا يجد المرء نهراً أو أباراً أو ينابيع قرب بيت المقدس باستثناء بركة سليمان، لذلك ليس أمام سكان المدينة والماشية من شيء يستخدمونه سوى ماء المطر ^(١٦) ويعد دانيال أول رحالة أوروبي أولى مصادر المياه جل عنايته باعتبارها تشكل أساس الحياة وعصب النشاط الاقتصادي للمملكة.

وتمتاز رحلة دانيال عن سابقتها بتقديمها مادة علمية مهمة عن النشاط الاقتصادي لبيت المقدس. فهو يتناول الأوضاع الزراعية للمدينة بقوله: «والحنطة تزدهر بشكل جيد في تلك الأراضي الصخرية التي ينقصها الماء، وفي معرض حديثه عن المناطق الريفية المجاورة لمدينة بيت المقدس يذكر بأنه تكثر فيها أشجار الكرم والفاكهة والتين والزيتون والخروب، وعدد لا نهاية له من مختلف الأشجار والنباتات ^(١٧)، وهذه الجوانب لم يأت سايولف في رحلته على الإشارة إليها».

كذلك امتدت اهتمامات دانيال إلى الجبال المحيطة بالقدس فتناول جبل صهيون،^(١٨) وذكر بأنه جبل كبير مرتفع يقع مواجهاً الجنوب ويتسم بالانحدار الخفيف من جهة بيت المقدس، وبنيت عليه أساسات مدينة بيت المقدس القديمة، التي دمرها نبوخذ نصر،^(١٩) ويقع جبل صهيون في الوقت الحاضر (عصر تدوين الرحلة) خارج أسوار المدينة جنوب بيت المقدس، وعلى هذا الجبل أقيمت كنيسة كبيرة بسقف خشبي تقع على مسافة مرمى حجر من كنيسة صهيون.^(٢٠) وهذه الكنيسة لم ترد عند سايولف الذي أشار فقط إلى كنيسة الروح الطاهرة على جبل صهيون.^(٢١) مما يشير إلى بدء النشاط المعماري الصليبي في المدينة، وذلك في إطار سياستهم الرامية إلى طبع المدينة بالطابع المسيحي، كما أشار إلى بستان الفخاري الذي يقع أسفل جبل صهيون وهو ما لم يشر له سايولف.

أما فيما يتعلق بالكنائس والأديرة فقد زار كنيسة القيامة ووصفها بأنها ذات شكل دائري وتحتوي على اثني عشر عموداً على شكل مسلات وستة أعمدة أخرى مغطاة بالرخام الجميل^(٢٢) وهذه الأوصاف لم يذكرها سايولف عند حديثه عن كنيسة القيامة. كما أن دانيال جاء على وصف الضريح المقدس^(٢٣) وأوصاف هذا الضريح لم ترد عند سايولف. وانفرد بالإشارة إلى القبة المموهة بالفضة التي تحمل على قمته تمثالاً للمسيح من الفضة، وهذه القبة أقامها الفرنج^(٢٤) وهنا سجل دانيال أول إضافة أحدثها الفرنج في كنيسة القيامة وهي من التغييرات والإضافات التي لم تكن قد أقيمت عند زيارة سايولف لبيت المقدس.

وعند تناوله للموضع الذي وجد فيه الصليب ذكر بأنه أقيمت فيه كنيسة كبيرة ذات سقف خشبي^(٢٥) ولكن لا يوجد الآن إلا كنيسة صغيرة^(٢٦) وهذه الكنيسة التي أعاد الفرنج بناءها لم يرد لها ذكر في رحلة سايولف مما يشير إلى إنها لم تكن قد بنيت أثناء زيارته للمدينة.

وأوصاف دانيال لقبة الصخرة (التي يسميها كنيسة أقدس المقدسات)^(٢٧) والمسجد الأقصى (يسميه منزل سليمان)^(٢٨) مفصلة وأكثر دقة مما جاء عند سايولف،^(٢٩) كذلك فإن أوصافه لبرج داود لا تجد ما يماثلها في رحلة سايولف^(٣٠) كما ألفت رحلة دانيال مزيداً من الأضواء على حركة المقاومة الشعبية في فلسطين ضد الغزاة الفرنج.^(٣١)

وما دمننا بصدد دراسة بيت المقدس في كتب الرحلات الأوروبية فإننا نفيد من الملاحظات والمشاهدات القيمة التي دونها فوشيه الشارترى في كتابه «تاريخ الحملة إلى القدس»^(٣٢)، فقد أمضى فوشيه فترة زمنية طويلة في بيت المقدس وكتب انطباعاته عما شاهده خلال فترة زمنية طويلة. وبالتالي فإن كتاباته تكتسب أهمية خاصة. وفي معرض

تناوله لطبوغرافية بيت المقدس أكد فوشيه على وقوع المدينة في منطقة جبلية خالية من الأشجار والينابيع والحدول، ويتابع أوصافه بقوله: «والمدينة منبسطة انبساطاً متناسباً؛ فلا هي صغيرة ولا هي كبيرة،^(٣٣) عرضها من السور إلى السور أربع رميات سهم، وفي غربها يقع برج داود يحف به السور على الجانبين، وفي جنوبها يقع جبل صهيون، وفي شرقها يقع جبل الزيتون على بعد ألف خطوة خارج المدينة»^(٣٤) وفي حديثه عن شوارع المدينة وأزقتها يقرر بأنها ضيقة^(٣٥) وهذه الأوصاف تكاد تتشابه مع ما أورده دانيال. ويتابع فوشيه أوصافه للمدينة، وذلك بالحديث عن الوضع المائي فيها، فالمدينة خالية من الينابيع باستثناء عين سلوان، التي قد يتوافر فيها الماء في بعض الأحيان أو يقل بسبب قلة المجاري، وهذه العين تفيض في فصل الشتاء، وتحتوي الأحواض والصحاريح المتعددة داخل المدينة والتي تمتلئ بمياه الأمطار في الشتاء على كمية كافية من المياه^(٣٦) كما يوجد خارج المدينة أحواض أخرى لإنعاش الناس والحيوانات، ولفت نظر فوشيه وجود شبكة لتصريف مياه الأمطار داخل المدينة بقوله: «هناك مجار في شوارع المدينة يغسل فيها ماء المطر كل الأوساخ»^(٣٧) وهذه الأوصاف لا نجد لها مثيلاً في رحلة دانيال فهي مبنية على المشاهدة والمعاينة والاختبار الشخصي لأوضاع المدينة وهو ما يميزه في هذا المجال».

كذلك امتاز فوشيه بما أورده من معلومات عن المقدسات الإسلامية إذ يذكر بأنه في المدينة يقع هيكل الرب (قبة الصخرة) وهو مستدير الشكل، والبناء الحالي منظره فائق الروعة يدل على مقدرة مذهلة في المعمار. وهناك معبد آخر، فخم ورائع البنيان يدعى هيكل سليمان، ولكنه ليس الهيكل الذي بناه سليمان - وهو في هذا يتفق مع دانيال والذي يذكر أنه من بناء القائد العربي المسلم عمر.^(٣٨) إلا أنه في وصفه للمسجد الأقصى ينفرد بالحديث عن جانب مهم جداً لم يسبقه إليه أحد من الرحالة الذين زاروا القدس، فقد ذكر بان هذا الهيكل قد تلف، ولم نستطع بسبب ضيق ذات اليد، أن نحافظ عليه في ذات الحلة التي وجدناه فيها، ولذا فقد تلف جزء كبير منه^(٣٩) وهي رواية على جانب كبير من الأهمية لكونها تتناول التخريب الذي لحق بمدينة بيت المقدس عامة، والمقدسات الإسلامية خاصة جراء السيطرة الصليبية عليها. بحيث عجزت إمكانات المملكة المادية عن إعادته إلى سابق عهده.^(٤٠)

على أية حال فإن نظرة عامة على أوضاع المدينة قبل السيطرة الصليبية ترينا مقدار ما لحق بالمدينة من تخريب ودمار جراء هذه السيطرة، وهو ما أدى إلى تراجع عام في أوضاع المدينة في بداية العصر الصليبي، ففي معرض حديثه عن بيت المقدس قبل السيطرة

الصليبية يذكر ناصر خسرو بأن مدينة بيت المقدس وقراها كلها جبلية: وأهلها يباشرون الزراعة بكل أنواعها،... وهي مدينة ذات نعم وافره ورخيصة،... والقدس مدينة عظيمة حين زرتها، يقوم على حراستها عشرون ألف رجل، وأسواق المدينة عظيمة، والمساكن عالية وتغطي أرض المدينة صفائح حجرية فرشت بها الأرض، وكلما وجد الناس جبلاً أو تلاً هدموه حتى يستطيعوا البناء عليه^(٤١) ومثل هذا الازدهار والحيوية افتقدته المدينة جراء السيطرة الصليبية، فقد تراجعت من الناحية الديموغرافية حتى أن المؤرخ وليم الصوري يتحدث بإسهاب عن نقص العنصر البشري في المدينة في بداية الاستقرار الصليبي^(٤٢) أما من الناحية الاقتصادية فانه وبرغم تناول دانيال للأوضاع الزراعية في المدينة، إلا أنه لم يأت على ذكر أوضاعها التجارية، والتي تراجعت تراجعاً ملحوظاً قياساً بما أورده ناصر خسرو، فلم تعد ذات أسواق عظيمة، يتضح هذا من خلال عدم تعرض أي من الرحالة السابقين للنشاط التجاري في المدينة ولعل هذا التراجع في النشاط التجاري للمدينة كان وراء قيام الملك بلدوين الثاني بإصدار مرسوم ملكي عام ١١٢٠ / ٥١٤ هـ، يقضى بإلغاء جميع الضرائب المفروضة على الحبوب المستوردة إلى المملكة بهدف تنشيط التجارة.^(٤٣)

وزار الرحالة الأوروبي فيتلوس Fetelus مدينة بيت المقدس نحو عام ١١٣٠م/ ٥٢٥ هـ، وفي هذه الرحلة نوه الرحالة بأوضاع المدينة في عصر الحروب الصليبية، فتحدث عن المستشفى الموجود في المدينة بقوله: خارج كنيسة الضريح المقدس باتجاه الجنوب يوجد المستشفى الذي بني للعناية بالأشخاص الفقراء غير القادرين^(٤٤) وهذا المستشفى لم يشر إليه دانيال في رحلته وإنما ذكره سايولف. كما انفرد بالإشارة إلى هيئة فرسان الداوية بقوله: «وتحت المعبد مكان إقامة الجنود الجدد الذين يحرسون بيت المقدس^(٤٥) وهذه أول إشارة ترد عن هذه الهيئة في كتب الرحلات الأوروبية».

كما انفرد بالإشارة إلى بيت المجذومين خارج أسوار بيت المقدس وحدد موقعه بأنه بين برج تانكرد وبوابة القديس ستيفن.^(٤٦)

وفي الفترة ما بين ١١٦٠ - ١١٧٠م وصل إلى بيت المقدس الرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ John of Wurzburg، وامتناز فورزبورغ عن سابقه من الرحالة بتحديد المسافات التي تفصل بيت المقدس عن بقية المدن الفلسطينية المحيطة بها.^(٤٧)

كما أتى على وصف قبة الصخرة (التي يدعوها معبد السيد) وصفاً تفصيلياً دقيقاً، وانفرد بالإشارة إلى أن المسلمين يأتون لتأدية الصلاة في هذا المكان ويتجهون في صلاتهم صوب القبلة، وأشار إلى وجود بوصلة في هذا المكان تشير إلى الجنوب، أي الاتجاه الذي يولون وجوههم إليه في الصلاة.^(٤٨)

كما أشار إلى أنه في الجانب الشمالي من القبة (المعبد) يوجد باب يؤدي إلى أديرة الكهنة، وفوق عتبة الباب العديد من الرسائل (النقوش) الإسلامية، وبجانب هذا الباب موقع للمياه العذبة، وعند مدخل المعبد باتجاه الغرب تمثال للسيد المسيح^(٤٩) وفي هذه الرواية يعرض فورزبورغ لما أحدثه اللاتين من تغييرات في معالم المدينة المقدسة لتصبح ذات طابع وهوية كاثوليكية، كذلك انفرد بالحديث عن وجود شبكة أنابيب رصاصية مثبتة فوق قبة الصخرة لتصريف مياه الأمطار^(٥٠) كما انفرد فورزبورغ بإلقاء الضوء على جانب من أوضاع المسلمين في بيت المقدس تحت السيطرة الصليبية وهو ما لم تشر إليه الرحلات السابقة، فأشار إلى قيام الفرنج بتثبيت صليبهم المقدس فوق قبة الصخرة، والذي يعتبره المسلمون عملاً مزعجاً جداً، والعديد منهم مستعد لدفع الذهب كثير من أجل إبعاده.^(٥١)

كما جاء في رحلته على وصف المسجد الأقصى وأشار إلى تحويل جزء منه إلى إسطبلات لخيول الفرنجة، وعندما تنزل الشارع الرئيس توجد بوابة ضخمة حيث نتعرف بواسطتها على ساحة المعبد الواسعة. ويقع القصر على اليد اليمنى باتجاه الجنوب - حيث يوجد إسطبل بحجم رائع يمكن أن يشتمل على أكثر من ألفي حصان أو خمسمائة جمل. وتمتلك الداوية العديد من المباني المتصلة الواقعة بالقرب من هذا القصر، وانفرد فورزبورغ بالإشارة إلى أساسات الكنيسة الضخمة الجديدة التي لم يكتمل بناؤها الآن، والتي عمل الداوية على تشييدها.^(٥٢)

وإذا كان الرحالة فيتلوس قد أشار إلى مستشفى القديس يوحنا، فإن الرحالة فورزبورغ انفرد بتقديم إحصاءات تقديرية عن قدراته الاستيعابية، وهو ما لم نجده عند غيره من الرحالة^(٥٣) كذلك انفرد بالحديث عن البنية السكانية غير المتجانسة لمدينة بيت المقدس والجديد في تناوله ما ساد بين الفرنجة أنفسهم من تنافر وتباغض وتحاسد فيذكر بان الذين استولوا على بيت المقدس لا يتقبلون غودفري البويوني لكونه ألمانياً، وينسبون المعاناة في الحملة إلى الفرنسيين فقط.^(٥٤)

كما انفرد بالحديث عن البيت الألماني وهو الهيئة التي تطورت فيما بعد وأصبحت تعرف باسم هيئة فرسان التيوتون، فقد جاء في رحلته ما نصه: "في هذا الشارع يوجد النزل والكنيسة التي بنيت حديثاً على شرف القديسة مريم وتدعى باسم البيت الألماني^(٥٥) كذلك انفرد يوحنا فورزبورغ بالإشارة إلى أحد أسواق مدينة بيت المقدس بقوله: يذهب المرء باستقامة من بوابة يهوشافاط^(٥٦) إلى الشارع المؤدي إلى بوابة القديس ستيفن، حيث يتجه شمالاً صوب الشوارع المتعددة (الشوارع الثلاثية)، حيث السوق المشتمل على جميع الأشياء المعدة للبيع مقابل كنيسة القبر المقدس.^(٥٧)

ونحو عام ١١٦٨م / ٥٦٤هـ زار الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي^(٥٨) Benjamin of Tudlea مدينة بيت المقدس وقدم عرضاً مهماً لجوانب متعددة فمن الناحية الطبوغرافية أشار إلى أن القدس بلدة صغيرة عظيمة التحصين تحيط بها ثلاثة أسوار^(٥٩) كما احتوت رحلته على جوانب مهمة فيما يتصل بالبنية السكانية والخريطة المذهبية والعقائدية للمدينة في عصر الحروب الصليبية إذ يذكر بأنه يقيم فيها عدد كبير من اليعاقبة والسريان والأرمن واليونان والكرج والإفرنج خليط من كل أمة ولسان.^(٦٠) كما قدم شرحاً مهماً لتوزيع العنصر اليهودي وأعداده ونشاطه الاقتصادي في بيت المقدس على نحو لا نجد له نظيراً لدى الرحالة المسيحيين الذين زاروا المدينة، وبالقدس معمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس سنوياً. فتنحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم، ويبلغ عددهم في هذه المدينة نحو المائتين؛ يقيمون في حي مجاور لبرج داود.^(٦١) وقيمة هذه الرواية تتمثل في أن اليهود ندر الاهتمام بهم من جانب الرحالة المسيحيين في ذلك العصر.

كذلك قدم بنيامين إشارتين ذات طابع طبي وحربي فذكر أن بالقدس مستشفيات يتسعان لإيواء أربعمئة من فرسان الإسبتارية عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة وبعد الممات، وفيها أيضاً البناية المسماة معبد سليمان، ويقيم في هذه البناية نحو الثلاثمئة من فرسان المعبد.^(٦٢)

وفي الفترة ما بين ١١٦١ - ١١٦٤م / ٥٥٧ - ٥٥٩هـ زار الرحالة الألماني ثيودريك Theoderich مدينة بيت المقدس، وامتاز هذا الرحالة عن سابقه بأنه كان دقيق الملاحظة شديد العناية بتقصي الأخبار وروايتها فجاءت رحلته غنية بالصور مليئة بالمعلومات عن مدينة بيت المقدس، وألقت رحلته مزيداً من الأضواء على كثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمدينة في عصر الحروب الصليبية. ومن الجوانب التي تناولها في رحلته انفراده بذكر حدود منطقة بيت المقدس، إذ يحدها من الغرب البحر العظيم (البحر المتوسط)، ومن الجنوب تنفصل عن جبال العربية ومصر بوساطة الصحراء، ومن الشرق فهي محددة بنهر الأردن، ومن الشمال عند حافة السامرة وادوميا^(٦٣) وتغلب الطبيعة الجبلية على منطقة القدس بمعظم أجزائها، وأشار إلى النشاط الزراعي للمنطقة بقوله: ”وفي أية بقعة بين الكتل الصخرية تبدو الأرض ملائمة لإنتاج جميع أنواع الفواكه، حيث إننا شاهدنا الجبال والتلال مغطاة بكروم العنب والمزروعة بأشجار الزيتون والتين وفي الوديان المحيطة بالقمح ومنتوجات الحقائق^(٦٤) وهذا الجانب سبق للرحالة دانيال أن تناوله.

كما جاء ثيودريك في رحلته على وصف الأودية المحيطة ببيت المقدس مثل وادي قدرون ووادي يهوشافاط اللذين يقعان بين جبل موريا^(٦٥) وجبل الزيتون، يقابلهما وادي آخر يتصل مجراه من ناحية اليد اليمنى لزاوية المدينة متجاوزاً الأحواض الجديدة بين جبل الزيتون وحقل الدم، مطوقاً المدينة من جانبيين بوهدة عميقة.^(٦٦)

كما تناول طبوغرافية المدينة بقوله: «يمتد الجزء الأطول للمدينة الآن - عصر تدوين الرحلة - من الشمال إلى الجنوب، ويمتد عرضه من الغرب إلى الشرق، وهي شديدة التحصين بأسوار ومعازل على قمة الجبل، فوق الوديان سالفة الذكر. ويوجد أيضاً قلعة حصينة وهي مزودة بأسوار ذات فتحات صغيرة وفتحات للرماية يطلقون عليها اسم الحصن الأمامي للدفاع عن المدينة، وللمدينة سبع بوابات تغلق بإحكام عند الساعة السادسة مساءً وحتى شروق الشمس، وتغلق السابعة بجدار، وتفتح يوم أحد السعف».^(٦٧)

والمدينة الآن ذات شكل مستطيل^(٦٨) وفي ضوء هذه الرواية يمكن القول إن الرحالة ثيودريك كان شاهداً على مدى اتساع مدينة بيت المقدس وزيادة عمرانها في ذلك العصر ليتغير شكلها من مدينة مربعة حسبما شاهدها دانيال إلى مدينة مستطيلة حسبما يقرر ثيودريك. الذي يتابع أوصافه لطبوغرافية المدينة فيذكر بأن شوارع المدينة كلها تقريباً مرصوفة بحجارة كبيرة، وغطي فوق العديد منها بحجارة مقنطرة ومثقوبة بنوافذ عديدة لتمرير الضوء، أما المنازل فهي مدعمة بأعمال حجرية ذات شكل رائع، وسقوف منبسطة^(٦٩) ومثل هذه الأوصاف لا نجدها لدى الرحالة السابقين. وفي معرضه تناوله لبرج داود يقرر بأنه يقع قرب البوابة الغربية، وبالقرب من هذه البوابة يقع القصر الملكي.^(٧٠)

كما اشتملت رحلته على جوانب مهمة فيما يتصل بالخريطة المذهبية، فداخل كنيسة الصريح المقدس فرق: اللاتين، والسريان، والأرمن، واليعاقبة، والنوبيون، وكل طائفة تختلف عن الأخرى سواء باللغة أو أسلوب تأدية الشعائر الدينية.^(٧١)

كذلك احتوت رحلة ثيودريك على جوانب اقتصادية مهمة، وفي هذا المجال قدم لنا وصفاً لسوق المدينة، يوجد شارع مقنطر مليء بالبضائع المعدة للبيع على ناحية اليسار، ومقابل كنيسة القيامة ساحة السوق.^(٧٢)

كذلك قدم وصفاً مهماً لمستشفى القديس يوحنا، وقدر عدد الأسرة فيه بأنه يفوق الألف سرير^(٧٣) كما قدم ثيودريك عرضاً مهماً للعمائر التي استحدثها الداوية في منطقة الحرم الشريف، ففي الساحة الخارجية لقبة الصخرة شيد الداوية بيوتاً وغرسوا لهم الحدائق^(٧٤) كما تناول الكتابات التي قام الفرنجة بكتابتها على جدران قبة الصخرة.^(٧٥) بعد ذلك جاء على وصف المسجد الأقصى الذي يسميه «قصر سليمان» ويقرر بأنه ذو شكل مستطيل، وقد وضع بجميع ملاحقه بأيدي فرسان المعبد الذين سكنوا فيه، ولديهم فيه العديد من المستودعات للأسلحة والثياب والطعام. وقد أقام الفرسان مبنى جديداً في الجانب الآخر للقصر، كذلك بنوا مصلى جديداً إضافة للمصلى القديم الذي لديهم، وعلاوة على ذلك فإنهم يضعون أساسات لكنيسة ضخمة بالقرب من الساحة الكبيرة^(٧٦) كذلك تحدث عن نواة

تنظيم القديس لعازر st. lazarus وأشار إلى نزل المبرصين الخاصة بالقديس المذكور بقوله: «من يقوم بجولة حول أسوار المدينة، يبدأ رحلته من عند برج داود، سوف يجد عند الحافة الغربية للمدينة الكنيسة وبعض المصابين بمرض الجذام».^(٧٧)

وإذا كانت العمائر التعليمية كالمدارس لم تحظ بأي قدر من الاهتمام لدى أي من الرحالة السابقين، لذلك لم يشر أي منهم إلى هذا النوع من العمائر، فإن الرحالة ثيودريك انفرد من بين الرحالة بالإشارة إلى وجود مدرسة في بيت المقدس في العصر الصليبي عرفت باسم «مدرسة القديسة مريم» وحدد موقعها بقوله: «يوجد منزلان صغيران فوق زاويتي الساحة الداخلية (لقبة الصخرة) حيث يقال إن المنزل الأول الذي يقع باتجاه الغرب كان مدرسة للعدراء المبجلة».^(٧٨) وهي في حدود ما أعلم أول إشارة ترد في كتب الرحلات الأوروبية عن وجود مدرسة في بيت المقدس في العصر الصليبي.

وختاماً فإننا نفيد وبلا شك من الملاحظات والمعلومات التي دونها وليم الصوري مؤرخ المملكة الصليبية في كتابه «الأعمال المنجزة فيما وراء البحار»^(٧٩) وترينا هذه المعلومات اتجاهاً إيجابياً نحو فهم ما حصل في البلاد فهماً شاملاً، وامتنازت كتاباته عن سابقه أنه - وإدراكاً منه لأهمية بيت المقدس - نجده يورد نبذة موجزة عن تاريخها تدعيماً لأهميتها ولدورها، ولذلك فهو يمزج بين الرؤية التاريخية والرؤية الجغرافية.

وقد تناول في كتاباته موقع المدينة وطبوغرافيتها فذكر أن مدينة بيت المقدس تقع في بقعة عديمة المياه والينابيع والغابات والمراعي^(٨٠) وهي أصغر من المدن الكبرى، وإن كانت أكبر من أي مدينة عادية، وهي ذات شكل رباعي بعض الشيء وإن كان أكثر ميلاً إلى الاستطالة إذ إن أحد أضلاعها أطول من بقية أضلاعها الأخرى. وتحدها من جوانبها الثلاثة وديان عميقة ويقع شرقيها وادي يهوشافاط، كما يشق هذا الوادي جدول قدرون الذي يفيض شتاءً بمياه الأمطار المنهمرة.^(٨١)

ويتصل بهذا الوادي من الناحية الجنوبية رافد آخر اسمه «هانوم»^(٨٢). ويحد بيت المقدس من الغرب الوادي نفسه الذي كانت فيه بركة قديمة. . . ويمتد الوادي من هنا إلى البحيرة العليا المسماة عادة بحيرة البطرك^(٨٣) المجاورة للمقبرة العتيقة في جب الأسد.^(٨٤)

تقع بيت المقدس على جبلين؛ وتقع قمتا هذين الجبلين داخل نطاق الأسوار ويفصلهما عن بعض وادٍ صغيرٍ يقسم المدينة إلى قسمين، ويسمى الجبل الواقع إلى الغرب بجبل صهيون، أما الجبل الآخر الواقع إلى الشرق فيعرف بجبل موريا.^(٨٥)

ويطل هيكل السيد على المنحدرات الشرقية والغربية لجبل موريا، أما صفة البناء فهو كالأتي: توجد ساحة مربعة متساوية الأضلاع، يحوطها سور متوسط الارتفاع، وتقع هذه الساحة على هضبة يقدر كل من طولها وعرضها بمساحة رمية سهم، ولها من الناحية الغربية بابان يؤديان إلى داخلها، ويعرف أحدهما بالباب الجميل^(٨٦) أما الباب الآخر فقد نسينا اسمه. كما يوجد باب واحد في السور الشمالي، وآخر في الناحية الشرقية.

أما القصر الملكي المعروف الآن باسم هيكل سليمان فيقوم في الناحية الجنوبية، كما توجد مآذن شاهقة الارتفاع يصعد إليها مؤذنو الإسلام في ساعات محددة لدعوة الناس إلى الصلاة، وهذه المآذن تعلو كل باب من الأبواب المؤدية إلى المدينة، وكانت تقوم في كل ركن من أركان الساحة المربعة، وهذه المآذن لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم، أما غيرها فقد زال بسبب شتى المصائب التي نزلت بها. ولم يكن مسموحاً لأحد من الناس أن يعيش في داخل هذه المواضع بل لم يكن أحد ما بقادر على الدخول هناك إلا وهو حافي القدمين قد غسلهما قبل قليل، ويقف على كل باب حارس مهمته مراعاة هذا الأمر مراعاة دقيقة. وكان في وسط تلك البقعة المجاورة ساحة أخرى ترتفع عن هذه بعض الشيء، وصورتها اقرب ما تكون إلى المربع المتساوي الأضلاع، ويوجد إلى الغرب والجنوب سلمان مدرجان يصعدان إلى الساحة.^(٨٧)

أما من الناحية الشرقية فثمة مدخل واحد فقط، ويوجد في كل ركن من هذه الساحة مسجد صغير ولا يزال بعض هذه المساجد قائماً حتى اليوم أما ما سواها فقد هدمت لتفسح المجال لأبنية مستحدثة حلت محلها،^(٨٨) وفي هذه الرواية ما يشير إلى ما قام به هؤلاء من أعمال لتغيير هوية المدينة.

وفي وسط هذه الساحة العليا يقوم المسجد وهو مئمن الشكل متساوي الأضلاع، كما أن جدران المسجد الداخلية والخارجية على السواء مرخمة ومحلاة بالفسيفساء، أما السقف فدائري مكسو بالرصاص الدقيق الصنعة، وقد رصفت الساحتان العليا والسفلى ومدرجاتهما بالرخام الأبيض، ومن ثم فإن الأمطار التي تسقط بغزارة في الشتاء وما ينحدر من المسجد ذاته وكذلك المياه التي تتدفق من جهات أخرى نقية صافية فإنها تنساب كلها إلى الصهاريج الكبيرة الواقعة داخل هذه الناحية.^(٨٩) ويوجد في وسط المسجد (قبة الصخرة) وفي نطاق الصف الداخلي من الأعمدة - صخرة ليست شاهقة الارتفاع ولكنها تعلو كهفاً... والحق أن هذا المكان ظل خمسة عشر عاماً قبل مجيء اللاتين وبعدهم مجرداً من كل ما يغطيه، حتى رخمه أخيراً بالرخام الأبيض من استولوا عليه كما بني أعلاه مذبح وهيكل لجوقة المرتلين، وعين قسيس لأداء الخدمات الدينية.^(٩٠)

وقد جاء وليم الصوري في كتابه على وصف حارة النصارى في القدس، وبحسب قوله، فإن تأسيس هذه الحارة كان في سنة ١٠٦٣م / ٤٥٥هـ في زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٣٥ - ١٠٨٤م / ٤٢٧ - ٤٤٧هـ) ^(٩١) حيث حصل النصارى على مرسوم ممهوور بإمضاء الخليفة وخاتمه لبناء الحارة. وجاء في أوصافه لهذه الحارة بأن حدها الخارجي كان يتألف من السور الذي يمتد من الباب الغربي - أو باب داود - ماراً بالبرج الكائن في الزاوية والمسمى ببرج تانكرد حتى يصل إلى الباب الشمالي المسمى بباب اسطفان، أما حدها الداخلي فهو الشارع العام الذي يمتد من باب أسطفان حتى يصل إلى الموضع الذي يجلس فيه الصيارفة إلى موائدهم ثم يرتد إلى الوراثة ثانية إلى الباب الغربي، ويقع داخل هذين الحدين طريق الآلام، وكنيسة القيامة، والبيمارستان، كما يوجد أيضاً ديران أحدهما للرهبان وثانيهما للنسوة الطاهرات، ويعرفان بديري اللاتين. كما يقع سكن البطرك ^(٩٢) ودير حماة القبر المقدس وملحقاته داخل هذه النواحي. ^(٩٣)

كما جاء في كتابه على وصف حالة أسوار القدس في عهد غودفري البويوني ملك بيت المقدس، فذكر أن ما كانت عليه الأسوار من هدم، جعل كل موضع في المدينة مكشوفاً أمام العدو. ^(٩٤)

كما جاء على ذكر بعض شوارع القدس منها الشارع المسمى بشارع الفرائين. ^(٩٥) هذا بعض ما سجلته كتب الرحلات الأوروبية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عن أوضاع مدينة بيت المقدس على المستويات الدينية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة نوجزها على النحو الآتي:

١. بداية نشطت الرحلة إلى بيت المقدس وتوسعت مجالاتها في القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي بشكل لم يسبق له مثيل، فأثت مجموعة كبيرة من الرحالة الغربيين خلال هذه الفترة ودون هؤلاء ملاحظات في غاية الأهمية عن أوضاع مدينة بيت المقدس في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية.

٢. قدمت كتب الرحلات الأوروبية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تفاصيل دقيقة جداً عن الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين، ويلاحظ أن هناك تركيزاً خاصاً على وصف الأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس وما يجاورها.

٣. قدمت كتب الرحلات الأوروبية معلومات في غاية الأهمية عن مصادر المياه في بيت المقدس، فقد أدرك الصليبيون منذ وطأت أقدامهم فلسطين أهمية عنصر المياه لكونه أساس الحياة وعصب النشاط الاقتصادي، ونجد كتابات هؤلاء تمثل رؤيتهم لمصادر المياه على نحو يعكس إدراكهم لدورها الحيوي، وبالتالي ضرورة السيطرة عليها.

٤. رصدت كتب الرحلات الأوروبية ظهور العديد من المؤسسات الصليبية في بيت المقدس ممثلة في مستشفى القديس يوحنا الذي تطور ليصبح فيما بعد هيئة فرسان الإسبتارية، وهيئة الفرسان الداوية، وبيت المجذومين، والبيت الألماني الذي أصبح فيما بعد هيئة فرسان التيوتون، وهي أول إشارة ترد عنها في كتب الرحلات الأوروبية من القرن الثاني عشر.

٥. قدمت كتب الرحلات الأوروبية صورة واضحة عن الجانب العمراني للمدينة المقدسة في العصر الصليبي، وكان الألماني ثيودريك شاهداً على التوسع العمراني للمدينة لتصبح ذات شكل مستطيل، وقدم لنا وصفاً للعمائر التي أحدثها الداوية في الحرم القدسي الشريف حيث شيدوا البيوت والكنائس وغرسوا الحدائق، وجاءت رواية الرحالة المسلم الإدريسي (٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) مؤكدة على ما أحدثه هؤلاء من عمائر في الحرم القدسي الشريف.

٦. كشفت كتب الرحلات الأوروبية عن عناية المملكة الصليبية بالتحصينات العسكرية، فقد تحولت مدينة بيت المقدس إلى مدينة شديدة التحصين، فحين زارها الرحالة دانيال الراهب وجدها مدينة واسعة تحميها أربعة أسوار قوية بعد أن كانت مهدمة في عهد غودفري في بداية السيطرة الصليبية كما قرر ذلك مؤرخ المملكة وليم الصوري، وحين زارها الرحالة بنيامين والرحالة ثيودريك كانت في غاية التحصين، وفي تركيزهم على هذا الجانب ما يشير إلى فقدانهم الشعور بالأمن والطمأنينة.

٧. تناولت كتب الرحلات الأوروبية البنية السكانية غير المتجانسة في بيت المقدس وصور الرحالة فورزبورغ ما ساد بين الفرنجة من تنافر وتباغض وحسد وانفرد بتصوير جانب من أوضاع المسلمين تحت السيطرة الصليبية، و أظهر معاناتهم النفسية حين تحدث عن الصليب المثبت فوق الصخرة وأن العديد منهم مستعد لدفع الذهب لأزالته عن مكانه.

الهوامش:

١. إثناء استعداد الرحالة المسلم ابن جببر لمغادرة ميناء عكا شاهد قافلة ضخمة من حجاج الفرنج تهم بركوب السفينة لمغادرة الميناء وذكر بأنه: "صعده (أي المركب) من النصارى المعروفين بالبلغريين، وهم حجاج بيت المقدس، عالم لا يحصى ينتهي إلى أزيد من ألفي إنسان" وجاء في مقدمة د. محمد مصطفى زيادة على الرحلة. أن لفظة البلغريين، تعريب حرفي للكلمة اللاتينية (Peregrini) بمعنى حجاج. انظر ابن جببر: رحلة ابن جببر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ٢١٦ وانظر مقدمة الرحلة، ص ١٥. وفي هذا ما يشير إلى تضخم أعداد الحجاج إلى فلسطين في هذه الحقبة.
٢. محمد مؤنس: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٧.
٣. نقولا زيادة: رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، القدس، ١٩٤٣م، ص ٨١ ولمزيد من التفاصيل عن كتب الرحلات إلى فلسطين في هذا العصر انظر محمد مؤنس: فصول ببلوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤١ - ٤٥. جان سوفاجيه، كلود كاهن: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ت عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
٤. Seawulf, The Pilgrimage of Seawulf to Jerusalem and the Holy Land, in P. P. T- S. , vol IV, London 1896 p. 8. للمزيد من التفاصيل عن حركة المقاومة الشعبية ضد الوجود الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية. انظر فؤاد عبد الرحيم الدويكات: أقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية، مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع، اربد، ٢٠٠٩، ص ١٥٤ - ١٦٠. وانظر أيضا سعيد البيشاوي: المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م ١٥، نابلس، ٢٠٠٩.
٥. Seawulf, op. cit. , pp 9- 14.
٦. ناصر خسرو: سفرنامه، ت احمد خالد، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٨٠ وانظر أوصافها أيضا لدى الرحالة المسلم الإدريسي الذي زار بيت المقدس أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١ / ٣٥٨ - ٣٥٩.
٧. Seawulf, op. cit. , p. 15.
٨. Seawulf, op. cit. , p. 15. وتبلغ مساحة الحرم القدسي الشريف (١٤١) دونماً، ويقع المسجد الأقصى المبارك شرقي مدينة القدس، في الجهة الجنوبية من ساحة الحرم وهو

من العمائر الأموية في المدينة. انظر. محمد سلامة النحال: فلسطين ارض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤، ص ٢٠٠، محمد احمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، منشورات البنك الأهلي الأردني، عمان، ١٩٩٩، ٢/ ٤٤٠.

٩. Seawulf, op. cit. , p. 15. والبوابة الجميلة من بوابات الحرم القدسي الشريف وتقع في الحائط الشرقي من الحرم تحت مستوى سطح الصخرة المشرفة، وقد أطلق عليه اليونان هذا الاسم ولا يعرف على وجه التحديد متى بنيت هذه البوابة. انظر. محمد هاشم غوشه: بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢، ص ١٢٩.

١٠. Seawulf, op. cit. , p. 16. ويقصد الرحالة بقدس الأقداس قبة الصخرة في ساحة الحرم القدسي الشريف.

١١. Seawulf, op. cit. , p. 17. ويفهم من النص أن البوابة الذهبية هي إحدى بوابات الحرم القدسي الشريف، ولعل المقصود به "الباب الذهبي" الذي يقع في الحائط الشرقي للحرم وينخفض عن مستوى الصخرة المشرفة وعلى بعد ٢٠٠ متر جنوب باب الأسباط، ويرد وصف هذه البوابة بالتفصيل لدى الرحالة المسلم ناصر خسرو، انظر. سفرنامه، ص ٥٨. أما الرحالة الإدريسي ففي معرض وصفه للمسجد الأقصى يذكر ما نصه "وتخرج من هذا المسجد أيضا مشرقا فتصل إلى باب الرحمة المغلوق، وبالقرب من هذا الباب باب آخر مفتوح يعرف بباب الأسباط عليه الدخول والخروج. نزهة المشتاق، ١/ ٣٦١.

١٢. Seawulf, op. cit. , p. 14. يرد ذكر أقدم مستشفى في بيت المقدس في رحلة ناصر خسرو الذي زار القدس فشاهد على حافة وادي جهنم بيمارستاناً عظيماً عليه أوقاف طائفة ويوفر لمرضاه العلاج. انظر ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٥٦ أما مستشفى القديس يوحنا فيرجع تأسيسه في القدس إلى تجار مدينة أمالفي الإيطالية الذين اتفقوا مع السلطات الفاطمية على تأسيسه عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م، وقبل السيطرة الصليبية على المدينة كان يدار من قبل الأديرة البندكتية وبعد السيطرة عليها استقل عنها وشكل نواة هيئة الفرسان الإسبتارية، وتناول سايلوف لهذا المستشفى في هذه الحقبة المبكرة على هذا النحو تشير إلى تواضع الدور الذي نهض به في خدمة الكيان الصليبي في بيت المقدس. عنه انظر. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت حسن حبشي الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٩٤، ٣/ ٣٩٠ - ٣٩٢، شفيق جاسر: القدس تحت الحكم الصليبي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٠٣. محمد مؤنس: الحروب الصليبية دراسات تاريخية نقدية، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩، ص ١٢٤ - ١٢٥.

١٣. Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, in P. P. T. S vol IV, London 1895, P. 3.

١٤. Daniel, op. cit. , p. 25. بنيت بيت المقدس على هضبة مرتفعة من الأرض، وتحوطها الجبال من كل جانب، ويتألف المرتفع الذي بنيت عليه المدينة من أربعة جبال هي موريا وبزيتا وأكرا وصهيون. ووقوع المدينة على هذه الجبال ميزها بطبوغرافية وعرة، واثّر على التنظيم الداخلي للمدينة. انظر محمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف، ٤٣١/٢.

١٥. Daniel, op. cit. , p. 10.

١٦. Daniel, op. cit. , p. 25. قارن ما أورده الرحالة الروسي دانيال عن الوضع المائي للمدينة بما أورده الرحالة المسلم ناصر خسرو والذي تعد روايته من أوفى ما كتب عن الوضع المائي في بيت المقدس إذ يذكر بأنه لا مصدر للماء في المدينة سوى ما يختزن بعد هطول الأمطار، وتوجد تحت بيت المقدس وفي الجهة الموازية للمظلة أحواض تحت الأرض تمسك مياه الأمطار وتمنعها من التسرب وهي أشبه بالآبار، وتحت المسجد عدد كبير من الأحواض ومصائد المياه، وقد شُقَّت إليها الأنفاق في صميم الصخر، والغرض من هذه المصائد أن تمنع تسرب مياه الأمطار، وهذا المخزون المائي كثيراً ما يفيض عن حاجة بيت المقدس ويستفيد منه الناس للسقيا، فقد نظمت إسالة الماء من تلك المصائد تنظيماً فريداً، وفي بيوت المدينة أحواض مهمتها تجميع مياه الأمطار ثم تخزين وهي ذخيرة الناس طوال السنة، وإذا هطلت الأمطار يوماً واحداً ظلت المياه تسيل من المزاريب عدة أيام، ولكن لا تذهب قطرة ماء واحدة هباء. انظر. سفرنامة، ص ٥٥، ٦٣ - ٦٤. وانظر أيضاً ما أورده القزويني عن الوضع المائي في المدينة. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص ١٦٠ - ص ١٦١.

١٧. Daniel, op. cit. , p. 26. قارن ذلك بما ورد عند ناصر خسرو. فيذكر بان غالبية بيت المقدس وقراها جبلية؛ وأهلها يباشرون الزراعة بكل أنواعها، وأشهر زراعاتهم الزيتون والتين، مع وجود كل أنواع الزراعات. انظر سفرنامة، ص ٥٣ أما القزويني الذي دوّن انطباعاته عن المدينة أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية فقد ذكر بان الذي عليه المدينة وضياعها جبال شاهقة وليس بقربها أرضة وطأة، وزرعوها على أطراف الجبال بالفؤوس لان الدواب لا عمل لها هناك. انظر آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٦٠.

١٨. جبل صهيون: يقع جنوب شرق بيت المقدس انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٣٦/٣.

١٩. نبوخذ نصر: أحد ملوك بابل والذي حكم نحو ثلاث وأربعين سنة (٦٠٤ - ٥٦٢ ق م) وقام بالسبي وخرّب القدس سنة ٥٨٦ ق م انظر أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ٢٢٩

.Daniel, op. cit. , p. 36.٢٠

.Seawulf, op. cit. , p. 19.٢١

.Daniel, op. cit. , p. 11.٢٢

.Ibid, op. cit. , p. 12.٢٣

, .Ibid, op. cit. , loc. Cit.٢٤

.Ibid, op. cit. , p. 18.٢٥

, .Ibid, op. cit. , loc. Cit.٢٦

٢٧. Daniel, op. cit. , pp 19- 20 سبق للرحالة سايولف أن أطلق عليها هذه التسمية، أما الرحالة دانيال فقد أطلق عليها كنيسة أقدس المقدسات، وأوصافه لها مفصلة غاية التفصيل، وبمقارنة ما أورده دانيال مع ما أورده سايولف يتضح بان هذه الأوصاف للقبّة جاءت قبل أن يتم تغيير معالمها العمرانية من قبل اللاتين وما أحدثوه فيها من إضافات أو تغييرات. وحين زار الرحالة المسلم الإدريسي بيت المقدس أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية أشار إليها بقوله: وبالقرب من الباب الشرقي من أبواب هذه القبّة (الصخرة) الكنيسة المسماة بقدس الاقداس وهي لطيفة القدر. انظر. نزهة المشتاق، ١/ ٣٦٠.

٢٨. Daniel, op. cit. , pp 21- 22 وامتاز دانيال عن الرحالة سايولف أثناء وصفه المسجد الأقصى بما أورده من وصف للبوابة الجميلة فقد ذكر بان هذه البوابة مكسوة بالقصدير بشكل فني رائع ومزخرفة بالفسيفساء والنحاس المموه. وهو ما لم يشير إليه سايولف في معرض وصفه لهذه البوابة.

.Seawulf, op. cit. , pp. 15- 16.٢٩

٣٠. Daniel, op. cit. , p. 17. وبرز داود أحد أبراج المراقبة في قلعة بيت المقدس، ويعد من أكبرها ويقع في الجهة الغربية من بيت المقدس، وتحديدًا داخل السور الغربي للمدينة قرب باب الخليل انظر وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٧

.Ibid, op. cit. , p. 9.٣١

٣٢. فوشيه الشارترى Fulcher of chartes ولد بمدينة شارتر الفرنسية نحو عام ١٠٥٨ - ١٠٥٩م، اشترك في الحملة الصليبية الأولى، وكان مرافقاً لبلدوين الأول. وعندما

عين بلدوين الأول ملكاً على بيت المقدس حضر معه إلى بيت المقدس وبقي ملازماً له حتى وفاته سنة ١١١٨م، ثم مكث فوشيه الشارترى في بيت المقدس حتى وفاته ١١٢٧م. وكتابه الذي وضعه هو "كتاب أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس" Gesta Francorum Iherusalem Pere Grinantium ويعد سجلاً لتاريخ الإمارات الصليبية في الشرق منذ خروج الصليبيين من بلادهم ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م وحتى عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م. وعندما أصبح بلدوين ملكاً على بيت المقدس انتقل معه فوشيه وأصبح المصدر الرئيسي عن هذه الفترة حتى وفاته. انظر فؤاد عبد الرحيم الدويكات: أقطاعية شرق الأردن، ص ١٣-١٤.

٣٣. فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ت زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠، ص ٧١ ولا يتفق ما ورد في المصادر الإسلامية مع ما أورده فوشيه الشارترى إذ يذكر ناصر خسرو بأن أرض المدينة غير مستوية ترتفع في مكان وتنحدر في آخر، أما أرض المسجد فهي في غاية الاستواء، وجدار المسجد يساير طبيعة الأرض المتغيرة. فإذا ما وجد بالقرب من المسجد منحدر فإن جدار المسجد يتناول، وإذا ما كان مرتفعاً فإن جدار المسجد يتطامن. انظر. سفرنامة، ص ٦٤. وهذا ما جعل المدينة ذات طوبوغرافية وعرة.

٣٤. فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٧١. ويرد جبل الزيتون في مصادرنا الإسلامية باسم "طور زيتا" ويقع بالقرب من بيت المقدس وإلى الشرق منها ويفصله عن المدينة وادي قدرون. أنظر لسترانج: فلسطين في العهد الإسلامي، ص ٨٦-٨٧

٣٥. المصدر نفسه، ص ٧٤. كما تشير المصادر الإسلامية إلى إنها وعرة المسالك. انظر. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح دوروتيا كرفولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٠٩.

٣٦. فوشيه الشارترى: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٧١ وهو يتفق في هذا مع ما ذكره الرحالة المسلم ناصر خسرو. انظر سفرنامة، ص ٦٣.

٣٧. المصدر نفسه، ص ٧٣.

٣٨. المصدر نفسه، ص ٧٣. وقع كل من دانيال الراهب وفوشيه الشارترى في اللبس إذ أن قبة الصخرة والمسجد الأقصى من الأبنية الأموية في القدس وتعود إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي بدأ بإنشاء قبة الصخرة سنة ٦٩هـ / ٦٨٨م واكمل بناؤها سنة ٧٢هـ / ٦٩١م، أما المسجد الأقصى فقد شرع بإعادة بناءه عبد الملك بن مروان واحتاج البناء لاستكمال بعض عناصره فأكملها الوليد بن عبد الملك، وكان

المسجد الأقصى قبل إعادة بناءه قد بني في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان بسيطاً بني بالخشب واللبن. وأقدم وصف للبناء الذي شيده عمر بن الخطاب قدمه الرحالة اركولف الذي زار المدينة عام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م وذكر بان المسجد بناء مربع من الخشب مقام على دعائم خشبية، وأنه أقيم في منطقة خربة، وأنه يتسع لثلاثة آلاف في وقت واحد" انظر. Arculf, The Travels of Bishop Arculf in the Holy land, in Early Travels in Palestine, New York 1969, pp 1- 2 صالحيه: القدس في صدر الإسلام ١٦ - ١٣٢ هـ / ٦٣٧ - ٧٥٠ م، ضمن كتاب القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠١، ص ٨٦، ٩٢ - ٩٣.

٣٩. يرجع ذلك إلى عملية تدمير المدينة ونهبها بعد السيطرة عليها من القوات الصليبية، فقتل هؤلاء معظم سكان المدينة كما قاموا بعمليات نهب لكنوز المدينة خاصة تلك التي كانت في الأماكن المقدسة.

٤٠. فصلت المصادر الإسلامية ما أصاب مدينة بيت المقدس من دمار وتخريب على أيدي القوات الصليبية، فقد قتل هؤلاء ما يزيد على سبعين ألفاً. . . واخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً نقرة ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء. انظر ابن القلانسي، أبي يعلى حمزة: ذيل تاريخ دمشق، تح امدرود، أعادت طبعه مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ١٣٧. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ٨ / ١٨٩.

٤١. ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٥٣ - ٥٤.

٤٢. وليم لصوري: الحروب الصليبية، ت حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ٢ / ١٨٠ - ١٨١، ٣١٧ - ٣١٩.

٤٣. فوشيه السارترى: تاريخ الحملة إلى القدس، ص ١٨٩ وانظر أيضاً نص المرسوم الملكي في Assises die Jerusalem, vol11, Doc No6. p485.

٤٤. Vol V London 1896, PP. 2- 3. Fetellus, Jerusalem and the Holy places, in P. P. T. S

وجاء في هوامش الترجمة الإنجليزية على هذا الخبر بان المستشفى المشار إليه قد تم بناءه من قبل شارلمان، كما ذكر ذلك الرحالة برنارد الحكيم، ومن المحتمل أن يكون هذا المستشفى قد دمر مع كنيسة القبر المقدس من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام ١٠١٠ م وأشار سايلوف في رحلته إلى هذا المستشفى وإشارة فيتلوس لهذا المستشفى تكشف عن تواضع الدور الذي أنيط به.

٤٥. Fetellus, op. cit. , p39. وكانت فرقة الداوية قد تأسست عام ١١١٨م / ٥١٢هـ على يد هيودي باينز من شبنانيا، وتحولت إلى هيئة عسكرية في العام نفسه، وقبل أن يطلق عليهم اسم الهيكلين Templars كانوا يعرفون باسم الفرسان الفقراء للمدينة المقدسة. انظر. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢ / ٣٤٥ - ٣٤٧.

٤٦. Fetellus, op. cit. , p39. والذي أصبح فيما بعد مستشفى المصابين الجذام التابع لهيئة القديس لعازر، وكان هذا البيت النواة الأولى لتنظيم القديس لعازر وتكمن أهمية هذا المستشفى انه متخصص في علاج مرض جلدي محدد، وقد رصدت على هذا المستشفى الأوقاف كثيرة لتمكينه من القيام بمهامه ولدينا العديد من الوقفيات على هذا المستشفى. انظر. محمد مؤنس: الحروب الصليبية، ص ١٢٧، ومن الوثائق الوقفية على هذا المستشفى وقفية مؤرخه في أكتوبر عام ١١٦٩م بموجبها يحصل المستشفى على ٢٠ بيزنط سنوياً لمرض الجذام. انظر Les Archives de L'Orient Latin, Paris, 1881, Doc NO 17 P,136. ويراد ببوابة القديس ستيفن باب العمود وهو في الجهة الشمالية من الأسوار بميل قليل نحو الغرب. محمد يعقوب: ناحية القدس الشريف، ٢ / ٤٣٠ أما برج تانكرد فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية من أسوار المدينة

٤٧. John of Wurzburg, Description of the Holy land, in P. P. T. S. vol V London 1896, P. 9

٤٨. Ibid, op. cit. , p15.

٤٩. Ibid, op. cit. , p16. وجاء في هوامش الترجمة الإنجليزية أن هذا الباب هو باب الجنة "The Bab el - Jenneh" وأديرة الكهنة تحتل الجزء الشمالي من الحرم. ويراد بباب الجنة باب الأسباط ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من الحرم الشريف وقد جاء على وصفه الرحالة المسلم ناصر خسرو كما أشار إلى هذه القباب التي يسميها أديرة الكهنة وذكر منها قبة يعقوب عليه السلام انظر سفرنامه، ص ٥٧ - ٥٨.

٥٠. Wurzburg, op. cit. , p. 18.

٥١. Ibid, op. Cit., loc. Cit. , وأشارت المصادر الإسلامية إلى هذا الصليب الذي كان على رأس قبة الصخرة، وكان شكلاً عظيماً، وإذا كان فورزبورغ قد صور المعاناة والضيق التي عليها المسلمون من وجود هذا الصليب فوق قبة الصخرة فإن ابن واصل سجل ما أصبح عليه هؤلاء بعد تحرير القدس وإزالته عن القبة بقوله. فلما قلعه وسقط صاح الناس كلهم صوتاً واحداً. . أما المسلمون فكبروا فرحاً، وأما الفرنج فصاحوا توجعاً وتفجعاً. انظر. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني

أيوب، تح جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٨٠، ٢ / ٢١٧، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه، تح احمد أيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٦٢.

٥٢. Wurzburg, op. cit., p21. وفي ضوء هذه الرواية فإن الرحالة يشير لما أحدثه هؤلاء من تغيير معالم المدينة ولعله يريد بالبوابة الضخمة التي يعبر منها إلى ساحة المسجد الأقصى "الباب المفرد" وهو احد المداخل الجنوبية ويقع بالقرب من باب الحصان والذي سمي بذلك لأنه يؤدي إلى إسطبلات سليمان، وقد بني هذا الباب زمن عبد الملك بن مروان وأعيد ترميمه في الفترة الصليبية، وكان هذا الباب قد رمم أثناء زيارة فورزبورغ. انظر محمد غوشه: بوابات القدس، ص ١٢٤، ١٣٧ وأشار الهروي لهذه الإسطبلات بقوله: «وتحت الأقصى إسطل كان لدواب سليمان» انظر الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٣ أما الإريسي فقد أشار أثناء زيارته لمدينة بيت المقدس إلى ما استحدثه الداوية من أبنية في المسجد الأقصى منها بيوتاً بسكنها الداوية ويقابل الباب الشمالي بستان حسن مغروس بأنواع الأشجار ودائر هذا البستان أعمدة مضمفورة بأبدع ما يكون من الصنعة وفي آخر البستان مجلس برسم الغذاء للقسيسين. الإريسي: نزهة المشتاق، ١ / ٣٦٠. أما الكنيسة التي أشار فورزبورغ إلى وضع أساساتها، فقد دمرت حين حرر صلاح الدين بيت القدس ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م. انظر العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القيسي، تح محمود صبح، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٣٧.

٥٣. Wurzburg, op. cit., p44. وهذه الإشارة تشي إلى تزايد أهمية الدور الذي نهض به المستشفى في خدمة الكيان الصليبي وتنامي دوره في مجتمع بيت المقدس.

٥٤. Ibid, op. cit., p40. أما غودفري البويوني، فقد ولد سنة ١٠٥٨ م، وكان أحد أبرز زعماء الحملة الأولى، وبعد السيطرة على القدس أصبح حاكماً لها. انظر سعيد البيشاوي: الممتلكات الكنسية، ص ٦١

Ibid, op. cit., p46.

٥٦. بوابة يهوشافاط: يراد بها بوابة الساهرة، وعرفت في العصر الصليبي بهذا الاسم انظر محمد غوشه: بوابات القدس، ص ١٥

Wurzburg, op. cit., p48.

٥٨. بنيامين التطيلي: من وجهاء اليهود في قشتالة، قام برحلته إلى المشرق الإسلامي في حدود ١١٦٥ - ١١٧٣ م انظر مقدمة رحلة بنيامين، ص ٢٢ - ٢٣

٥٩. بنيامين بن يونة التطيلي: رحلة بنيامين، ت عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥، ص ٩٨ وقد اعتمد عزرا حداد في ترجمته لرحلة بنيامين على نسخة بغداد المنقولة عن

طبعة فرارة القديمة سنة ١٥٥٦، والمكتوبة بالخط العبري المعروف بالخط الآشوري المربع وهي نسخة نادرة، وقد طبعت على حجر ببغداد ١٨٦٥ انظر مقدمة الرحلة بقلم عزرا حداد ص ٣٩، وأشار عزرا في مقدمته إنني وان كنت اعتمدت في الترجمة على نسخة بغداد إلا إنني لم اتأخر عن ذكر ما يخالف نصها في النسخ الأخرى مثل نسخة اشتر وادلر، وبمقارنة نسخة اشتر وادلر بنسخة بغداد التي اعتمدها عزرا حداد تبين أن رحلة بنيامين التطيلي في بلاد الشام وتنقله في مدنها ونواحيها ومن ثم حجه إلى بيت المقدس لم يرد في نسخة ادلر انظر. Jewish Traveler (ed) Adler, London, 1930, pp 38 – 63. بينما وردت أوصاف بنيامين لبلاد الشام وحجه إلى بيت المقدس في نسخة Asher التي ظهرت في لندن ١٨٤٠ ونقلها عنه توماس رايت في مجموعته المطبوعة في لندن ١٨٤٨.

The Travels of Rabbi Benjamin of Tudela, in Early Travels in Palestine, new York 1969, pp 63- 126. وقد فات عزرا حداد التنويه إلى عدم احتواء النسخة التي ترجمها ادلر على الأوصاف التي قدمها بنيامين لبلاد الشام وكذلك أخبار حجه إلى بيت المقدس.

٦٠. بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ٩٩، 83. Benjamin of Tudela (ed) Wright, p. ٩٩.
٦١. بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ٩٩، 83. Benjamin of Tudela (ed) Wright, p. ٩٩.
٦٢. بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ٩٩، Benjamin of Tudela (ed) Wright, p. ٩٩،
83، ورواية بنيامين تكشف عن تنامي الدور الذي نهضت به المستشفيات الصليبية في خدمة هذا الكيان.

٦٣. Theoderich's Description of the Holy Places, in P. P. T. S vol V, London. 1896, P. 3. قارن هذه الحدود التي أوردها الرحالة الأوروبي ثيودريك من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بحدود نيابة بيت المقدس والتي تبلورت بشكل واضح أواخر العهد المملوكي وجاء على ذكرها بالتفصيل العمري " والقدس الشريف مشتملة على مدينة القدس وما حوله إلى نهر الأردن... إلى فلسطين المسماة بالرملة طولاً ومن البحر الشامي إلى مدائن لوط عرضاً إلى ما هو في جنباتها " العمري: مسالك الأبصار، ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

Theoderich's, op. cit. , p. 3. ٦٤

٦٥. جبل موريا: وهو الجبل الذي أقيم عليه الحرم القدسي الشريف، ويرتفع ويرتفع (٧٤٠) متراً عن سطح البحر انظر محمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف، ٢ / ٤٣١

٦٦. Ibid, op. cit. , pp 4- 5. وفيما يتعلق بالأودية الواقعة حول مدينة القدس، فتتكون من واديين هما: وادي جهنم ويعرف أيضا بوادي النار، ووادي قدرون، ووادي ستنا مريم ووادي يهوشافاط، والذي يبدأ من الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة الحرم، ويصب في البحر الميت، فاصلاً مدينة القدس عن جبل الطور، ويبلغ طوله (٢٦) كم، وادي الجوز الذي يمتد من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة ويتجه جنوباً ليصب في البحر الميت بعد أن يلتقي بوادي جهنم، وهو يفصل جبل المشارف عن المدينة. انظر. محمد اليعقوب: ناحية القدس الشريف، ٦/١.

٦٧. Theoderich's, op. cit. , p. 5. يراد بهذه البوابة "باب الرحمة" الذي يقع في الحائط الشرقي من الحرم القدسي الشريف، وهو أشهر البوابات المغلقة. وصفه الإدريسي بقوله: "وفي طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح إلا من عيد الزيتون لمثله. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق ١/ ٣٥٨، وهو يوم الأحد الذي يسبق الفصح، ويحتفل فيه بدخول المسيح إلى بيت المقدس حيث نثر على طريقه سعف النخل.

Theoderich's, op. cit. , p. 5. ٦٨

Ibid, op. cit. , loc. Cit. ٦٩

٧٠. Ibid, op. cit. , p. 6. ظل ملوك اللاتين يقيمون في المسجد الأقصى ويتخذونه مقراً رسمياً لهم قبل بناء القصر الملكي، وهذه أول إشارة في كتب الرحلات الأوروبية تشير إلى هذا القصر كبناء مستقل ومنفصل عن المسجد الأقصى. وقد حدد ثيودريك موضعه بأنه قرب البوابة الغربية.

٧١. Theoderich's, op. cit. , p14. ولم تكن هذه البنية متماسكة وإنما تنازعتها عوامل الفرقة والضعف.

Ibid, op. cit. , p22. ٧٢ وهو السوق الذي جاء على وصفه يوحنا فورزبورغ.

Ibid, op. cit. , loc. Cit. ٧٣. ، والرحالة شاهد على تعاظم الدور الذي نهض به المستشفى في خدمة الكيان الصليبي.

٧٤. Ibid, op. cit. , p24. أحدث اللاتين تغييرات مهمة في عمران مدينة بيت المقدس في فترة الاحتلال الصليبي للمدينة، وفي هذه الرحلة يستعرض الرحالة الأوروبي ثيودريك أبرز ما أحدثه اللاتين من تغييرات في المسجد الأقصى وتمثل ذلك في بناء البيوت والحدائق وإلى هذه التغييرات أشار الإدريسي بقوله: "ويقابل الباب الشمالي بستان حسن مغروس بأنواع الأشجار..". الإدريسي: نزهة المشتاق، ١/ ٣٦٠.

٧٥. Theoderich's, op, cit. , pp 26- 27. وأثناء زيارة الهروي لبيت المقدس لفت نظره العديد من النقوش والكتابات الإسلامية على جدران المسجد الأقصى وقبة الصخرة مما لم يغيره اللاتين فقد جاء في رحلته ما نصه: "الباب الشرقي إلى جانب قبة السلسلة وعليه عقد مكتوب عليه اسم القائم بأمر الله. . . وعلى سائر الأبواب كذلك لم يغيره الفرنج. . . المسجد الأقصى به محراب عمر بن الخطاب لم يغيره الفرنج، . . . وجميع ما على الأبواب من آيات القرآن العزيز وأسامي الخلفاء لم يغيره الفرنج. الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص ٣١- ٣٢.

٧٦. Theoderich's, op, cit. , p31. وقد أمر السلطان صلاح الدين حين فتح المدينة بتدمير هذه الكنيسة انظر العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٣٧.

٧٧. Theoderich's, op, cit. , p 43. أما القديس لعازر فهو من قرية بيت عنيا، وبعد وفاته أحياه المسيح بقدرة الله انظر يوحنا ١١: ١- ١٦، ٤٣- ٤٤.

٧٨. Theoderich's, op, cit. , p 24.

٧٩. وليم الصوري: William of Tyre ولد في مدينة بيت المقدس حوالي ١١٣٠م / ٥٢٤هـ، وأمضى فترة شبابه في فلسطين، وقد سافر إلى أوروبا قبل عام ١١٦٣م لمتابعة دراساته هناك. وحين عاد إلى المملكة اشغل وظيفة المستشار الملكي في عهد الملك عموري. كما أصبح رئيساً لأساقفة صور من عام ١١٧٥- ١١٨٤، وكان يطمح بالوصول إلى منصب بطريرك بيت المقدس، إلا أن طموحاته لم تتحقق، وقد ألف كتابه Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum وقد ترجم إلى الإنجليزية على يد بابكوك وكراي وكرامي عام ١٩٤٣، New York, A History of Deeds Done Beyond the Sea.

1943. انظر. فؤاد عبد الرحيم الدويكات: إقطاعية شرق الأردن، ص ١٨.

٨٠. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢/

٨١. المصدر السابق، ٢/ ٨٤ أما جدول قدرون فأشار إليه بورشارد ي سياق حديثه عن كنيسة العذراء المبجلة بقوله: هذه الكنيسة رطبة لأن وادي قدرون يجري من تحتها انظر بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص ١٣٥

٨٢. وادي هانوم: التسمية التي أطلقها اليهود على وادي قدرون انظر لستراخ: فلسطين في العهد الإسلامي، ص ١٩٠- ١٩٢

٨٣. بحيرة البطرك: ويراد بها بركة حزقيا الواقعة بين سوقة علون وحارة النصارى، على بعد (٢٠٠) متر من القلعة إلى الشمال الشرقي انظر عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ص ١٧٧

٨٤. المصدر السابق، ٢ / ٨٥ وجب الأسد لم يتمكن من تحديد موقعها
٨٥. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢ / ٨٦
٨٦. المصدر السابق، ٢ / ٨٧ - ٨٨.
٨٧. المصدر السابق، ٢ / ٨٩.
٨٨. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢ / ٨٩.
٨٩. المصدر السابق، ٢ / ٩٠.
٩٠. المصدر السابق، ٢ / ٩٠ وأشارت المصادر الإسلامية إلى هذه التغييرات التي أحدثتها اللاتين في قبة الصخرة بالقول: "وكان الفرنج قد بنو على الصخرة المقدسة كنيسة، وستروها بالأبنية وغيروا أوضاعها، وملئوها بالصور، وندبوا في ترخيمها أشباه الخنازير، ونصبوا عليها مذبحاً وعينوا بها مواضع للرهبان، ومحط الإنجيل، وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة بأعمدة الرخام فأمر السلطان بمحو تلك الآثار كلها وأزال عن الصخرة تلك الأبنية، فأبرزها للعيون. . . وتقدم بعض ملوكها بستر الصخرة إشفاقاً عليها من القطع. انظر. العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٤١، ابن واصل: مفرج الكروب، ٢ / ٢٢٩.
٩١. المستنصر بالله: هو ابن الظاهر لإعزاز دين الله، تولى الخلافة وهو طفل لم يتجاوز السبع سنوات وامتد حكمه ستين عاماً (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢ م، ص ١٢٥.
٩٢. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢ / ١٧٩ حددت المصادر الأوروبية موقع هذه الدار بأنه بالقرب من كنيسة القبر المقدس. انظر ريموند أجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت حسين عطية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٢٥٨ أما مجير الدين الحنبلي فقد حدد موقعها بأنها قرب كنيسة قمامة وبعضها - راكب على ظهر قمامة، وبعد فتح صلاح الدين للمدينة جعلت هذه الدار رباطاً للفقراء انظر. مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣، ١ / ٣٤١ وانظر كذلك. العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٤٥. ابن واصل: مفرج الكروب، ٢ / ٢٣٠.
٩٣. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ٢ / ١٧٩
٩٤. المصدر السابق، ٢ / ١٨٠
٩٥. المصدر السابق، ٣ / ١٢٢ وقد جاء وليم على ذكره من غير أن يحدد موقعه

المصادر والمراجع:

المصادر الأوروبية:

أولاً- المجموعات الوثائقية:

١. Les Archives de L'Orient Latin, 2 vols, Paris 1881 – 1884

٢. Les Assises de Jérusalem, 2 vols, Paris 1841 – 1843

ثانياً- المصادر التاريخية والجغرافية:

١. Arculf, The Travels of Bishop Arculf in the Holy land, in Early Travels in ,Palestine, New York 1969

٢. Benjamin of Tudela ,

The Travels of Rabbi Benjamin of Tudela, in Early Travels in Palestine, New York 1969.

٣. Daniel Russian Abbot ,

Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land, in P. P. T. S. , vol IV, London 1895.

٤. Fetellus ,

Jerusalem and the Holy Places, in P. P. T. S. , vol V, London 1896.

٥. John of Wurzburg's ,

Description of the Holy land, in P. P. T. S. , vol V, London 1896.

٦. Seawulf's ,

The Pilgrimage of Seawulf's to Jerusalem and the Holy land in P. P. T. S. , vol IV, London 1896.

٧. Theoderich's ,

Description of the Holy Places, in P. P. T. S. , vol V, London 1896.

٨. بنيامين بن يونة التطيلي:

رحلة بنيامين، ت عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥.

٩. ريموند أجيل:

تاريخ الفرنجة غزا بيت المقدس، ت: حسين عطية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩.

١٠. فوشيه الشارترى:

تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ت: زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠.

١١. وليم الصوري: الحروب الصليبية، ت حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ج ١ - ٤، ١٩٩١ - ١٩٩٥

المصادر العربية:

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني

الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ (١٢ جزء).

٢. الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني:

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ (٢ جزء).

٣. الأصفهاني، العماد الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفى الدين:

الفتح القسي في الفتح القدسي، تح محمد محمود صبح، د. ن. د. م. د. ت.

٤. ابن جبير، أبي الحسين محمد بن احمد الكناني الأندلسي:

تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار «المعروف برحلة ابن جبير» دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.

٥. الحنبلي، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد:

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، دار المحتسب، عمان، ١٩٧٣.

٦. ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع.

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه: «المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، تح احمد أيبش، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣.

٧. العمري، ابن فضل الله، احمد بن يحي:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «دولة المماليك الأولى» تح دوروتيا كرفولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦

٨. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود:

أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت.

٩. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد:
تاريخ أبي يعلي حمزة ابن القلانسي «المعروف بذييل تاريخ دمشق»، تح امدرود،
مكتبة المتنبي، القاهرة.
١٠. ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي:
سفرنامه «المعروف باسم رحلة ناصر خسرو» ت احمد خالد، جامعة الملك سعود،
الرياض، ١٩٨٣.
١١. الهروي، أبي الحسن علي بن أبي بكر
الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٢. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم:
١٣. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال. (ج ٢) القاهرة، ١٩٥٧.

المراجع الأوروبية المعربة:

١. جان سوفاجيه، كلود كاهن:
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ت عبد الستار حلوجي عبد الوهاب كلوب، المجلس
الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.

المراجع العربية:

١. شفيق جاسر:
القدس تحت الحكم الصليبي، القاهرة، ١٩٨٩.
٢. فؤاد عبد الرحيم الدويكات:
إقطاعية شرق الأردن في عصر الحروب الصليبية، مؤسسة حمادة للدراسات
الجامعية، اربد، ٢٠٠٩.
٣. محمد احمد يعقوب:
ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، منشورات
البنك الأهلي الأردني، عمان، ١٩٩٠.

٤. محمد سلامة النحال:
فلسطين ارض وتاريخ، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤.
٥. محمد عيسى صالحية:
القدس في صدر الإسلام ١٦ - ١٣٢ هـ / ٦٣٧ - ٧٥٠ م ضمن كتاب القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، اربد، ٢٠٠١.
٦. محمد غوشه:
بوابات القدس، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٢.
٧. محمد مؤنس عوض:
- الرحالة الأوربيون في مملكة بيت القدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.
- الحروب الصليبية: التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، دار الشروق، رام الله، ٢٠٠٤.
- فصول بليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ١٩٩٦.
- الحروب الصليبية: دراسات تاريخية نقدية، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩.
٨. نقولا زيادة:
رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، المقتطف، ١٩٤٣.